ـ ضحية عقدة الاضطهاد والظلم والاستلاب .

ـ تشكيك في كل العروق والأجناس الأخرى في العالم ، من العرب حتى البولونيين حتى الالمان حتى الأتراك ، الخ .وكل عرق له مخازيه ونقاط ضعفه بحسب التصنيفات اليهودية .

ـ استظلال بعقدة التفوق والتعالي على الآخرين ، ولا سيما على الخصم ، ودعم هذا التفوق بمعتقدات دينية وخرافية قد لا تكون لها قوة ابرائية ولكن اصحابها مقتنعون بصحتها ، إن كل الاقوال الصهيونية في الرواية تستقى من الأفكار التلمودية عن الأرض الموعودة والحق الالهي وحكايات داوود وجوليات وغير ذلك . ومن هنا خطورتها في تعقيد اليهودي الصهيوني وعزله عن سائر بني البشر .

ـ تمجيد مستمر للقوة يكاد يبلغ درجة التقديس ، مغلف دائما بتأكيدات الحق والسلام التي لا تلغي بالضرورة اعتبار القوة الوسيلة الافضل .

يقول نداء صهيوني من الأعماق :

« أنت القوة الأقوى أبدا ! كن البادىء في الضرب ، ثم اشرح كل شيء فيما بعد من موقع القوة . غايتك تبرر الوسيلة ! فتقدم ، واصنع التاريخ ، ولا تنظر الى الجثث المدماة في الطريق ... » (ص ١٥٧ من الرواية) .

ومن هنا تنبع مشروعية استخدام القوة عند الصهيوني وهي مشروعية تبيح كل أشكال سفك الدماء في سبيل الوصول إلى الغاية التي اضفي عليها جو من القداسة (لم يضع دنيويتها وبراغماتيتها على أي حال) .

ـ إلغاء النقيض المقابل الغاء تاما من خلال المواقف التالية :

١ ـ انكار وجود شعب عربي في فلسطين .

٢ ـ الاعتداد الشديد بانتصار عام ١٩٤٨ (الاستقلال) على ما اعتبر غزوا عربيا لفلسطين من قبل « اناس جاؤوا من الصحراء مدهوشين أمام مزارعنا ... » (ص ٨٥ من الرواية) .

٣ ـ احتقار العرب وتشويه سمعتهم ولا سيما من خلال الزعم بأنهم . أكثر الناس في التاريخ قدرة على تدمير الأرض المزروعة »(ص٨٦ من الرواية) .

٤ ـ تصوير الغزو الصهيوني لفلسطين بأنه إعمار لها وتحضير ، بل نعمة على سكانها : « ولم نسرق إنشا من أرضكم ، ولكننا سرقنا منكم الملاريا والتراخوما وعفن حياتكم وفقركم » . (ص ٨٥ من الرواية) .

* * *

وما دامت هذه حال الطرفين ، فان النقيض ليس مما يحل بسهولة لأنه يحمل كل ترسبات الماضي والحاضر للطرفين الذين تزيدهما تجربة الصراع تعقيدا وعنادا واصرارا وتوجسا .

وههنا المعضلة التي تبرزها الرواية ابرازا جريئا ، ولكنها تخرج منها بحل مبسط جدا ربما لا يستند الى كل التحليلات القوية في صلب الرواية ، (امتشاق البندقية الى جانب الطبقة العاملة) فكانما كان الحل مسقطا نسبيا من تجربة الثورة الفلسطينية (الخارجة عن نطاق الرواية والتي لم ترد في الرواية الا بشكل تلميحات يصعب اعتبارها جوهرية) .

الرواية فنا

لم يكن سهلا ابراز طرفي النقيض دون تبني تقنية معقدة تساعد على ذلك . ولقد احب افنان القاسم أن يصور لنا النقيض في حالة الفعل لا في حالة السكون ، وكان عليه ان يرتاد المركب الفني الخشن حتى يتحقق له ذلك . وبالطبع لا يبدو مريحا ولا مطمئنا أن يصف الانسان المركب الفني بالخشونة ، ولكن هذه الصفة، التي أصبحت الآن في العربية نوعا من اللازمة الجاهزة لكلمة المركب ، مقصودة هنا لذاتها . ذلك ان فن « أفنان » لا يبدو مشنبا ولا مصقولا ، وانما يحتفظ بخشونة بل بقساوة متأتية عن شدة ضغط الموضوع المعقد على الشكل المعقد .

إن البطل « عليا » يروي الاحداث ويعرض المشاعر بصيغة المتكلم ، ومن الواضح أن تياره الشعوري الداخلي مرصود رصدا قوياً ، قصد به أن يتساوق مع حركة ذهنه الظاهرة وربما حركة جسمه ايضا . ويقدم لنا هذا التيار على شكل مقاطع متداخلة مع الحركة الخارجية للرواية ، ومطبوعة بالحرف الأسود تمييزا لها وتأكيدا عليها * . وتكاد هذه الحركة الداخلية تحتكر معنى الرواية كله

---

* يلبي هذا الشكل الطباعي رغبة المؤلف : اذ انه حرص على إبراز هذه المقاطع بلون شديد السواد في مخطوط الرواية الذي قدمه إلى اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، وكان من حسن حظي ان كلفت قراءة هذا المخطوط . =